

لمسات من الإعجاز البياني في قصة مريم "عليها السلام"

إعداد

أ. كائنات محمود عدوان

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

ملخص البحث

يتناول البحث جوانب من الإعجاز البياني في قصة السيدة مريم عليها السلام في القرآن الكريم، والتي وردت في سور: آل عمران، المائدة، ومريم، والتحريم. حيث اشتمل البحث مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، واشتمل المبحث الأول المعنون بـ(الإعجاز البياني في القرآن الكريم): تعريف الإعجاز البياني في القرآن الكريم وأهميته، وأمثلة على فهم شعراء البيان في زمن الفصاحة. وأما المبحث الثاني (قصة السيدة مريم عليها السلام في القرآن الكريم)؛ وفيه: فضائل السيدة مريم عليها السلام، ومواطن ذكر السيدة مريم عليها السلام في القرآن الكريم.

والمبحث الثالث (لمسات من الإعجاز البياني في قصة السيدة مريم عليها السلام)؛ وفيه: لمسات من البيان في سورة آل عمران، وأخرى من سورة المائدة، وثالثة من سورة مريم، ورابعة من سورتي الأنبياء والتحريم.

وقد توصل البحث إلى عدة نتائج، كان من أهمها: أهمية الإعجاز البياني البالغة عن غيره من ألوان الاعجاز الأخرى للعربي والعجمي على السواء، ومراد الله من كتابه، وتبين أن قصة السيدة مريم في ثنايا القرآن تحمل صوراً شتى من صور الإعجاز البياني، واتضح أن العربي في القرون الأولى من التنزيل الحكيم كانت لديه سليقة واضحة في تذوق آيات القرآن، وتؤكد للباحثة أن القرآن الكريم ليس كتاب قصص من الخيال، بل هي حقائق للموعظة والذكرى، وليست القصة فيه إلا لغاية تخدم هذه الموعظة وتلك الذكرى.

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

لقد جاء القرآن للناس كافة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، ومقتضى هذا العموم الفهم لكل آية تنزلت على قارئها صلوات ربي عليه وسلامه، ويشتمل الفهم فهم الناس كافة العربي والأعجمي. وإن كان الأعجمي للغة العربية أقرب إلى ما توصل إليه العلم الحديث من فنون العلوم وأشكاله، فإن العربي ينبغي أن يكون ملماً باللغة ووقائعها كما كان العربي في العصر الأول من عصر النبوة والخلافة.

وبسبب ابتعادنا عن عصر التنزيل فقد بعدنا عن اللسان العربي الفصيح فصعب علينا تذوق معانيه ومراميه وأصبحنا كالأعاجم في الفهم نردده، ولا نفهم سوى ما ظهر لنا من معانٍ إلا من رحم ربي وعلمه، لذلك كان لا بد للأقلام أن تتبري حتى تكشف اللثام والغموض، وما صعب من لسان العرب عن طريق الذب عن كتاب الله، اللسان العربي وبإجراء الأبحاث والتصنيفات لشرح معاني لغة القرآن التي وردت في آيات الرحمن شرحاً يلوذ به قارئ القرآن فيتبصر به وتنحل عقدة الأعجمي فيجري به اللسان العربي المبين، فيتلقف المفردات كأنها الدرر ويسعى إلى فك طلاسم الجهالة عنها، فتبدو للقارئ بأنه لا يتصور الإتيان بمثلها، ولا يمكن لنا ولا لأي بشر على وجه الأرض أن يستبدل كلمة مكان الأخرى، أو حتى بحرف واحد على المطلق المستحيل قال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وحينها يقع العجز وتظهر قدرة الله أمام العباد فلا يترك مجالاً للشك أن هذا القرآن الذي بين أيدينا لا جرم أنه من تنزيل حكيم عليم. ويلي العجز الإعجاز الذي تفرق بين ثنايا آيات التنزيل الحكيم، وكان غرة هذا الإعجاز، الإعجاز البياني الذي لا تخلو آية من آيات الله منه على الدوام، فيظهر تميز هذا النوع من الإعجاز عن غيره من ألوان الإعجاز الأخرى، التي إن وجدت في آية أو سورة قد لا توجد في أخرى وعليه، فإن الإعجاز البياني خاصة في قصة السيدة مريم، ما هو إلا مشكاة واحدة في طريق طويل مليء بالبيان والجمال والفصاحة، قد حاولت الباحثة خلاله أن تركب خيول اللغة، علها تجد في سهيل

البيان درر القرآن المكنونة فيه، وهو اجتهاد بعد تتبع وبحث، فإن أصبت فمن الله وحده لا شريك له، وإن أصابني الخلل والزيغ فيما كسبت وكفى، وأعوذ بالله أن أكون من المفترين، وأسأله تعالى أن يشرح صدورنا لإكمال هذا الطريق في سبر أغوار آيات القرآن الحكيم، علنا ننال شرف الذود عنه، وبيانه للعربي، والأعجمي على السواء ليكون حجة لنا يوم القيامة، وشفيعاً لنا عند ملك مقتدر وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

يتناول البحث جوانب من الإعجاز البياني في قصة السيدة مريم -عليها السلام- في القرآن الكريم، والتي وردت في سور: آل عمران، المائدة، ومريم، والتحريم. ومنهج البحث يتمثل في استخدام المنهج الاستقرائي حيث تتبع الآيات التي تحدثت عن قصة السيدة مريم -عليها السلام- في القرآن الكريم، والتحليلي في تحليل معاني مفردات الألفاظ القرآنية في الآيات المختارة من السور الأربع موضع الدراسة. ويتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع على النحو الآتي:

المبحث الأول: الإعجاز البياني في القرآن الكريم ويشتمل على:

المطلب الأول: تعريف الإعجاز البياني في القرآن الكريم وأهميته.

المطلب الثاني: أمثلة على فهم الشعراء البيان في زمن الفصاحة.

المبحث الثاني: قصة السيدة مريم عليها السلام في القرآن الكريم: ويشتمل على:

المطلب الأول: فضائل السيدة مريم عليها السلام.

المطلب الثاني: مواطن ذكر السيدة مريم عليها السلام في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: لمسات من الإعجاز البياني في قصة السيدة مريم "عليها السلام"

المطلب الأول: لمسات من البيان في سورة آل عمران.

المطلب الثاني: لمسات من البيان في سورة المائدة.

المطلب الثالث: لمسات من البيان في سورة مريم.

المطلب الرابع: لمسات من البيان في سورة الأنبياء وسورة التحريم.

خاتمة البحث: وتشمل على أهم النتائج والتوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

والله الهادي إلى سواء السبيل

المبحث الأول

الإعجاز البياني في القرآن الكريم

يتضمن هذا المبحث مدخلاً للبحث حيث يشتمل على تمهيد فيه نبذة عن تعريف الإعجاز البياني، وأهميته.

المطلب الأول

تعريف الإعجاز البياني في القرآن الكريم وأهميته

أولاً: تعريف الإعجاز البياني:

الإعجاز: هو العجز، أي الضعف والقصور، والبيان: هو الافصاح عن المعنى من غير التوسع في الكلام فالإعجاز البياني: هو الدقة في اختيار كلمات القرآن الكريم، وترتيبها بصور بديعة حيث تظهر الفصاحة والبلاغة والبيان بصورة يفهمها القارئ ويسهب في تدبرها. (١)

ومن الإعجاز القرآني البياني أننا لا يمكن استبدال كلمة بأخرى، ولا تقديم ما آخر ولا تأخير ما قدم، أو توكيد ما نزع منه التوكيد، أو عمد توكيد ما أكد.

ثانياً: أهمية الإعجاز البياني:

إن أعظم وجوه إعجاز القرآن الكريم هو الإعجاز البياني؛ لأنه لا تخلو سورة من سور القرآن الكريم أو آية على اختلافها طولاً وقصراً منه، وليس الأمر كذلك في باقي أنواع الإعجاز الأخرى. (٢)

وإذا كان الإعجاز البياني يرجع في لبه وجوهره إلى النظم، والقرآن كتاب الإنسانية جمعاء عربها وعجمها، منذ أنزله الله، فليس من المنطقي أن يكون هذا النظم خاصاً بالعرب وحدهم، وهو رأي منطقي ذهب إليه فضل عباس وابنته في كتابيهما إعجاز القرآن؛ حيث اعتبرا أنه من الغلط اعتبار الإعجاز البياني حديث عن الصورة التي تمتع العواطف، وترهف الحس، وتقوم على الاستعارة والكناية والتشبيه فحسب، إنما يكون الإعجاز البياني قائماً على النظم بمعنى: ذلك الترتيب الذي لكلمات القرآن في جملها من

(١) www.mawdoo3.com

(٢) إعجاز القرآن الكريم: فضل حسن عباس، سناء فضل عباس، ص ١٥٥.

جهة، واختيار هذه الكلمات من جهة أخرى، ثم ترتيب الجمل والآيات في السورة. وهذا الإعجاز البياني الذي كان يدركه العربي عند نزول القرآن الكريم بنوقه وسليقته، أما العرب اليوم فإنما يدركونه بعد التفسير بالفكرة لا بالسليقة والفترة، لأنهم بعدوا عن عصر التنزيل، ودخلت اللهجات والعامية، وضعف لسان النطق الفصيح؛ لذلك غدوا هم والأعاجم في الفهم سواء، ولهذا عُدت فكرة أن الإعجاز البياني خاص بالعرب وخدمهم إلى إعادة نظر.^(١)

المطلب الثاني

أمثلة على فهم الشعراء البيان في زمن الفصاحة

كان شعراء العرب ونقادهم على بلاغتهم واتقانهم للشعر وفنونه، لو وجدوا ثغرة ينفذون منها للطعن في القرآن لما ترددوا، لكنه أعجزهم فأقعدهم عن نقده ورده، ولذلك كان مما أثر عنهم أنهم كانوا بسليقتهم وامتداد فصاحتهم يعرضون الكلام على موازين الفصاحة عندهم فيفرون بينه وبين الركيك من الكلام.

فما ورد عنهم ما ذكره الرافعي من استدراك الخنساء على حسان بن ثابت في شعر أنشده بعكاظ قال فيه:

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحي وأسيفنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني العنقاء وابن محزن فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا عمأ

فقلت الخنساء: "ضعف انتماؤك، وأبرزته في ثمانية مواضع، قال: وكيف؟ قالت: قلت: (لنا الجففات)؛ والجففات ما دون العشر فقلت العدد، ولو قلت (الجفان) لكان أكثر. وقلت (الغر) و(الغرة) البياض في الجبهة، ولو قلت: (البيض) لكان أكثر اتساعاً، وقلت: (يلمعن) ولو قلت: (بشرقن) لكان أكثر؛ لأن الإشراق أدوم من اللمعان، وقلت: (بالضحي)، ولو قلت: (بالعشية) لكان أبلغ في المديح، لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً، وقلت: (أسيفنا)، والأسيف دون العشر، ولو قلت (سيوفنا) كان أكثر، وقلت: (يقطرن)؛ فدالت على قلة القتل، ولو قلت: (يجرين) لكان أكثر لانصباب الدم، وقلت (دمأ) والدماء أكثر من الدم، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدوك.^(٢)

(١) انظر: إعجاز القرآن الكريم، ١٥٦ وما بعدها.

(٢) إعجاز القرآن الكريم، ص ١٥٦ وما بعدها "بتصرف".

وبناءً على ما سبق ندرك أن نظم الكلمات في جملها واختيارها من بين غيرها من الكلمات، يعتبران الأصل الذي قام عليه الإعجاز البياني. وهو أمرٌ لم يكن بدعاً من الفهم عند العربي صاحب اللسان الفصيح، وإن كانت آيات الكتاب المبين قد أصابته بالعجز على الإتيان بنظيره، فهذا هو العجز بعينه الذي تحدى به الله العرب والعجم على حدٍ سواء.

المبحث الثاني

قصة السيدة مريم عليها السلام في القرآن الكريم

المطلب الأول

فضائل السيدة مريم عليها السلام

السيدة مريم هي السيدة الوحيدة في العالم التي أكرمها الله بالنفخ فيها، وإنجاب نبي من أنبيائه بدون أب، وهي سابقة لم تحدث لأحد قبلها ولن تحدث بعدها، كما أنها تميزت - عليها السلام- بأنها الأنثى الوحيدة التي تم ذكر اسمها في القرآن وهذا لم يحدث لأنثى غيرها، وهناك العديد من الفضائل قد ذكرت خلال السنة المطهرة على النحو الآتي:

١- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "قال ﷺ: "فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران، وآسيا امرأة فرعون." (١)

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: "مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُوَلَّدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنَهَا." (٢)

٣- عن أنس بن مالك رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: "حسبك من نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد." (٣)

المطلب الثاني

مواطن ذكر السيدة مريم عليها السلام في القرآن الكريم

ذكرت مريم -عليها السلام- في القرآن الكريم وكرر اسمها في أربعة وثلاثين موضعاً، ولم يسم الله غيرها من النساء.
ومريم في اللغة: هي العابدة والخادمة، ولقد اختار بعض العلماء أنها معربة. (٤)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ٤/٦٧٢، كتاب: أحاديث الأنبياء.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، ٤/١٩٩، كتاب: بدء الخلق.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک، ٣/١٥٧، كتاب: معرفة الصحابة.

(٤) الكشاف، ١/٢٧٦، روح المعاني، ٣/١٣٦.

وقد ذكرت في القرآن الكريم على النحو الآتي:

١- سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةٌ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَدَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)﴾. [آل عمران: ٣٥-٣٧].

ثم جاءت الآيات تتحدث عن السيدة مريم بعد انقطاع مرة أخرى في نفس السورة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُخْتَصِمُونَ (٤٤) إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧)﴾ [آل عمران: ٤٢-٤٧].

والمتأمل للآيات السابقة يجد أن لفظة (مريم) الاسم الخاص بالسيدة مريم -عليها السلام- قد تكرر ذكره في السياق خمس مرات متوالية، تكريماً لها -عليها وعلى ابنها السلام-، وهذا ما لم يكن حتى لنبي أو رسول أو ملك قبلها أو بعدها.

٢- سورة مريم في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤)﴾

وَهَزِي إِلَيْكَ بِحُذَعِ النَّحْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلَةً قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنَّي عَبْدُ اللَّهِ أَتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ﴿ [مريم: ١٦-٣٣].

والمتمأمل في السياق القرآني السابق يجد سرداً ممتعاً وشيقاً لقصة من قصص القرآن الكريم، لم تغرق في التفصيل والسرد ولم يكن العرض مخللاً مقللاً كما هو حال القصة في القرآن عموماً.

٣- سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ هُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) ﴾ [المائدة: ٧٢-٧٥].

جاءت الآيات السابقة تحمل رداً مبهرراً للنصارى الذين اتخذوا المسيح وابنه إلهين من دون الله، بطريقة حوارية سلسلة يفهما كل قارئ ناهيك عن مخاطبة العقل ومجادلة المنطق.

وقد ذكرت في مواطن أخرى لم يذكر فيها اسمها على النحو التالي:

٤- سورة الأنبياء في قوله تعالى: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فَرَجَهَا فَتَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا

وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩١].

٥- سورة التحريم في قوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنْتَ فَرَجَهَا فَتَنَفَخْنَا

فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتُ بِكَلِمَاتِ رَبِّي وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِذْ وَقَعْتَ عَلَى الْبَيْتِ مِنَ الْقَابِلِينَ ﴾ [التحريم: ١٢].

المبحث الثالث

لمسات بيانية في قصة السيدة مريم عليها السلام

المطلب الأول

لمسات من البيان في سورة آل عمران

إن القرآن الكريم الذي جاء فيه البيان المعجز، كان تأثيره على العرب الذين ينتقون اللغة العربية واضحاً وقد سجل التاريخ بعضه بما لا يماري فيه أحد، بينما نجد في وقتنا الحالي على الرغم من أنه يتلى على مسامعنا ليلاً ونهاراً، فلا تتأثر به إلا من رحم، وذلك لبعدها عن عصر الفصاحة وتذوق اللغة الفصحى وأساليب البيان التي احتوتها، علنا في هذا المقام نزيل بعض الأعجمية عن اللغة وتبينها من موردها الأصيل القرآن الكريم، ولنبدأ على بركة الله بسورة آل عمران وقصة السيدة مريم فيها.

١- يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةٌ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦)﴾ [آل عمران: ٣٥-٣٦].

لقد نذرت امرأة عمران وهي: أم مريم التي كانت حاملاً بها وهي: حنة بنت فاقوذ، وكانت امرأة لا تحمل.^(١) نذرت ما في بطنها لخدمة وسدنة بيت المقدس، لأن الإنسان مهما وصل إلى مرتبة اليقين، فإن المسائل التي تتصل بالناس وبه، تمر عليه، وتشغله، لذلك أرادت امرأة عمران أن يكون ما في بطنها محرراً من كل ذلك.^(٢) والمحرر لا يكون إلا كذلك، ولا يكون كذلك إلا إذا كان ذكراً. فالتعجب من ميلاد الأنثى ليس بسبب كونها أنثى بالذات، كلا؛ بل لعدم مقدرة الأنثى على القيام بأعباء الخدمة في بيت المقدس، لما يصيبها من الحيض والأذى، وقيل: لا تصلح لمخالطة الرجال.^(٣)

وتقديم الذكر في قوله: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ لاهتمامها هي به ورغبتها في مجيئه فهو المرجو والمأمول للخدمة.^(٤) وهو رد على من يستدل على الآية القرآنية بكونها تفضل

(١) تفسير الطبري، ٦/٣٢٨.

(٢) تفسير الشعراوي، ١/٩٣٨.

(٣) تفسير القرطبي، ٤/٦٤.

(٤) www.islamiyyat.com

الذكر على الأنثى حيث يقول د. فاضل السامرائي: "هذا رد على إرادة الآية تفضيل الذكر حيث المشبه في اللغة يأتي دون المشبه به وقد جاء المشبه هو الذكر فتكون الأنثى على هذا الاعتبار هي الأفضل، وذلك رده على من يقول بأن الآية تحمل التفضيل للذكر".^(١)

٢- وفي قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّهُ يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]، ذكر البيان المنزل من الله - تعالى- الفعل (يخلق) ولم يأتِ بـ(يفعل) كما ورد في قصة سيدنا زكريا عليه السلام، وذلك لأن الفعل أقل قوة من الخلق، وحيث إن الخلق يكون من العدم فإن يفعل ليس كذلك.^(٢)

ومن الواضح أن تبشير السيدة مريم بولد مع أنها لم يمسهها بشر من قبل على هذا النحو، أشد غرابةً وعجباً من تبشير زكريا عليه السلام مع كونه كبير السن وامرأته عاقر.

المطلب الثاني

لمسات من البيان في سورة المائدة

في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥)﴾ [المائدة: ٧٢-٧٥].

في قوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾؛ حيث أراد الله ﷻ أن يثبت للنصارى بأن المسيح ابن مريم لم يكن سوى بشر فيه طبيعة البشر، قال ذلك واكتفى بهذا المستوى الرفيع من العبارة فلم يقل: إن المسيح وأمه كانا يتخلصان من فضلات الطعام كما يفعل البشر، بل اكتفى بالإشارة الذكوية، إذ من البديهي أن كل من يأكل لا بد أن يتخلص من فضلاته^(٣)، وهو رد صريح ومفهوم لمن اتخذهما إلهين من دون الله.

(١) www.islamiyyat.com

(٢) www.magalaty.com

(٣) مقال بعنوان حول الإعجاز اللفظي للقرآن الكريم. www.dar-net

وقد استدل من قال: إن مريم عليها السلام لم تكن نبيه بقوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾، إنما قيل لها (صِدِّيقَةٌ) لكثرة تصديقها بآيات ربها وتصديقها ولدها فيما أخبرها به^(١)، والمتأمل للسياق القرآني: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾، يجد أنه تحدث عن الرسالة مرتين: رسالة السيد المسيح، ورسالة الرسل فناسب السياق أن تذكر صفة (الصديقة) للسيدة مريم، حيث التصديق بالرسل ورسالة السيد المسيح مناسباً لاختيار هذه الصفة بالذات لمريم -عليها السلام- كما إن هذه الصفة تنفي كونها نبيه أو قديسة ونحوها، خاصة إذا ما نظرنا إلى الآيات التي تسبق هذا الوصف فقد تحدثت عن توحيد الله واتهام الذين اتخذوا سيدنا عيسى عليه السلام إلهاً من دون الله، فهو إذن اختياراً معجز من لدن حكيم خبير.

المطلب الثالث

مواطن من البيان في سورة مريم

قال تعالى: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيفًا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا (٢٣) فَوَدَّعَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهَرِيءَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦) فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣)﴾ [مريم: ١٦-٣٣].

(١) تفسير القرطبي، ٦٧/٤.

بعد أن ذكر الله -تعالى- قصة زكريا عليه السلام، وأنه أوجد منه في حال كبره وعقم زوجته ولداً زكياً طاهراً مباركاً، أردفه بذكر قصة مريم في إنجاب ولدها عيسى عليه السلام من غير أب، وبين القصتين تناسب وتشابه واضح^(١)، والمتأمل في الآيات الكريمة بما فتح الله عليه من بيان يخلص إلى اللمسات البيانية الآتية:

١- في استخدام القرآن البيان في قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا﴾، أما في قصة مريم عليها السلام نجدها لم تطلب الولد، على أن الولد لأمًا زكياً، ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾، في حين استخدم القرآن "أنى يكون لي ولد" في سياق الحديث عن طلب سيدنا زكريا الذرية، وذلك ليس مصادفة بالمطلق بل هو تنزيل حكيم مبين معجز وما هو من بقول البشر.

فسيدنا زكريا عليه السلام حدد وطلب الذكر من ذريته على أن الولد يطلق على الأنثى والذكر ويطلق على واحد أو أكثر، فهي لم تحدد وإنما أطلقت تعجبها؛ لأنها استغربت من إمكانية الإنجاب أصلاً؛ لعدم توفر أسبابه وعدم تحديده هنا بكلمة ولد وذلك لشدة غرابة الحدث.

٢- في قوله تعالى: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾، ظاهر الآية التعارض لأن القول يتنافى مع الصيام عن القول، غير أن العربي صاحب الفصاحة يدرك ذلك جيداً، حيث إن اللغة الأصيلة تقتضي تسمية الإشارة والإيماء قولاً أيضاً، وهناك شواهد كثيرة من بطون اللغة تؤيد ذلك، ومنها؛ قول العرب: "وقالت له العينان؛ أي: أومات.

٣- في قوله تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ فاستخدم لفظ فأجاءها ولم يستخدم فجاءها؛ لأن الفعل (جاء)؛ أي: باختياره ورضاه، إنما أجاءه فلان أي جاء به رغماً عنه ودون إرادته، فكان المخاض هو الذي ألجأها إلى جذع النخلة وحملها على الذهاب إلى هذا المكان رغماً عنها وجاء بها، فكان هناك قوة خارجة عنها تشدّها إلى هذا المكان.^(٢)

٤- في قوله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ وعلى اختلاف من ناداها فهو وليدها عيسى عليه السلام أم سيدنا جبريل عليه السلام؛ فالراجح أن سيدنا جبريل عليه السلام كان

(١) التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، ٦١/١٦.

(٢) تفسير الشعراوي، بتصرف ٥٥٢٨/١.

موجوداً معها لكنه ليس تحتها، فدلّ ذلك على أن الذي ناداها هو الوليد، وحزن مريم منشؤه الانقطاع عن الناس، وأنها في حالة ولادة، وليس معها مَنْ يسندها ويساعدها، وليس معها مَنْ يحضّر لها لوازم هذه المسألة من طعام وشراب ونحوه؛ لذلك تعهّدها ربها -تبارك وتعالى- فوفّر لها ما يُقيتها من الطعام والشراب، فقال: ﴿قَدْ جَعَلْنَا رُبُّكَ سُرِيًّا﴾ والسريّ: هو النهر الذي يجري بالماء العذب الزلال، أو هو السيد الكريم سيجعله الله من تحتها حينما يكبر. (١)

و(سُرِيًّا) هي لغة سريانية بمعنى: محرراً وهي ما جاءت به آيات القرآن في بداية قصة السيدة مريم -عليها السلام-، أي بمعنى التحرر من الرق، وعلى ذلك فاستخدام القرآن الكريم للكلمة السريانية، وهي من لغة عيسى وأمه عليهما السلام تعدّ إعجازاً لغوياً؛ لأنها تفيد التأكيد على أن التحرر هنا من كل أمور الدنيا إلا عبادة الله، وليس التحرر من الرق. (٢)

٥- في قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ قدم الأكل على الشرب وفي هذا دلالة على صعوبة الحصول على الطعام أكثر من الشراب، وكذلك لأهمية الطعام للتي تلد جنيناً؛ بسبب ما تفقده جراء الولادة، "وقري عينا" معناه: نامي فإنما حضها على الأكل والشرب والنوم (٣)، فيكون النوم كذلك مهم لها لكي تستريح من عناء الوضع. وعليه يكون الأكل والشرب والنوم على هذا الترتيب من لوازم الصحة الجسمية والنفسية للإنسان في مراحل عمره كافة في الحياة.

وفي معنى ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ كذلك، أي طيبي نفساً ولا تحزني، وإذا تأملنا البيان القرآني لم يقل: لا تحزني أو طيبي نفساً، مثلاً لغاية بديعة اشتمل عليها لفظ ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ لأن المصطلح القرآني يحمل المعنيين معاً ويشتمل على المعاني السابقة أيضاً فقرة العين هو البعد عن الحزن إضافة إلى النظر إلى ما يسر خاطر، فأمر الله ﷻ السيدة مريم -عليها السلام- بعد أن هيا لها أسباب الراحة ولوليدها، بأن دعاها إلى عدم الحزن وكذلك النظر إلى وليدها لتقر بها عينها ولا تحزن؛ مدعاة للربط على قلبها وتصبرها. (٤)

(١) تفسير الشعراوي، ١/ ٥٥٣٠.

(٢) مقال بعنوان الإعجاز اللغوي السرياني القرآني، أحمد الجمل. (www.amrallah.com)

(٣) تفسير القرطبي، ٩١/١١.

(٤) www.islamwomen.org (٤)

المطلب الرابع

لمسات من البيان في سورة الأنبياء وسورة التحريم

قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا

وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١].

وفي سورة التحريم ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ

فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ﴾ [التحريم: ١٢].

والمتأمل للآيتين يجد اللامسات البيانية الآتية:

١- في سورة الأنبياء لم يذكر اسم السيدة مريم، وهذا لم يأت عبثاً؛ بل لإعجاز بياني اقتضته السورة وجوهاً الموضوعي، حيث إن السورة بكاملها تتحدث عن الأنبياء - عليهم السلام - جميعاً، والسيدة مريم كما هو معروف لدينا أنها ليست نبيّة، فناسب المقام أن لا يأت على اسمها وسط جملة أسماء الأنبياء، بينما لو نظرنا إلى سورة التحريم وجوهاً الموضوعي، فقد ناسب أن يذكر اسمها في سياق آيات السورة؛ لأن السياق فيه ذكر للنساء ومنهم: امرأة فرعون، وامرأة لوط، وامرأة نوح. فيا له من بيان معجز كيف لا؟ وهو تنزيلٌ من حكيم خبير. (١)

يقول أ. د. فاضل السامرائي: "والتصريح بالاسم يكون أمدح، وأذم إذا كان في الذم". ونلاحظ في سورة التحريم أنها من أعلى المذكورات في سياق النساء، ولهذا ذكر اسمها من باب المدح.

أما في سورة الأنبياء فهي أقل المذكورين في السورة منزلة بين الأنبياء؛ لأنها ليست نبيّة فلم يذكر اسمها وهذا من باب المدح أيضاً.

٢- ذكرت الآيات ابنها في سورة الأنبياء، ولم تذكره في سورة التحريم؛ لأن سياق سورة الأنبياء فيه ذكر الأنبياء، وابنها عيسى عليه السلام نبيٌّ أيضاً. فناسب ذكره، ولم تذكره في التحريم؛ لأن السياق في ذكر النساء ولا يناسب أن يذكر اسم ابنها مع ذكر النساء.

٣- لم تذكر الآيات أنها من القانتين في سورة الأنبياء، وذكرتها من القانتين في سورة التحريم وليست من القانتات. وهذا من باب القاعدة العامة في اللغة العربية وعند

العرب، أنهم يغلبون الذكور على الإناث في السياق، إلا إذا احتاج السياق ذكر النساء ومخاطبتهن على وجه الخصوص يأتي السياق خاص بهن.

وهناك لفظة بيانية دقيقة تعلل ذلك، هي أن آباءها -عليهم السلام- كانوا قانتين، فهي تتحدر من سلالة القانتين فكان هذا أمدح لها.

ولقد ذكرها الحق وذكر اسم والدها، ذلك لأن الحدث الذي حدث لها لن يتكرر في امرأة أخرى فناسب أن يذكر أنها من القانتين.

٤- وفي قوله تعالى: "فنفخنا فيها" أي عن طريق الملك جبريل عليه السلام، وهذا الضمير

للتعظيم، يأتي دائماً مع ذكر قصة مريم وعيسى -عليهما السلام-، أما في قصة آدم عليه السلام فيأتي الخطاب "فنفخت فيه من روعي"؛ لأن الله -تعالى- قد نفخ في آدم الروح بعد خلقه

مباشرة، أما في مريم -عليها السلام-، فالنفخ عن طريق الملك جبريل عليه السلام، ويعتبر النفخ فيها أعم وأمدح.^(١)

(١) انظر تفسير الشعراوي، ٦٤٩/١، لمسات بيانية (المصدر الإلكتروني).

خاتمة البحث

الحمد لله الذي أعاننا على إتمام هذا البحث، والصلاة والسلام على رسول الله سيد الخلق، وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد: فإنه قد تبين من خلال البحث أن وجهاً أصيلاً من أوجه إعجاز القرآن الكريم ألا وهو الإعجاز البياني الذي تصدر أقرانه من أنواع الإعجاز الأخرى، وقد تجلّى ذلك من خلال قصة السيدة مريم أن المفردات والألفاظ والسياق لم يأت جزافاً، بل هي كلمات متألّفة قد اختيرت بعناية فائقة لا تبدو من مخلوق البتة، ولا يتصور أن تأتي، فكل آية وردت تحكي قصة السيدة مريم، تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن هناك وجهاً بيانياً معجزاً، كان السبب في اختيار كلمات القصة بما يبهر به قلوب من تعلقوا بالقرآن، وفهموا معانيه، ولغته.

والإعجاز البياني: هو ما قام على النظم في ترتيبه وترتيب كلماته وجمله على السواء، واختيار كلماته عن غيرها من الكلمات وتلك الحالة كان يدركها العرب حينما كانت سليقته سليمة، أما العربي -اليوم- فقد لا يدركها إلا بعد أن تفسر وتشرح له تفاصيل معانيها.

وهو إذن معجز في آياته وسوره وكلماته وسياقه ونسقه كافة، مما يتطلب منا كشف لثام الجهالة عن درره ومكنوناته التي تختبئ تحت مقاصده وظلاله. فنسأل الله - تعالى- أن يبسر لهذا الدين خدمته وسدنته ممن يرفعون لواء القرآن ويحافظون عليه ويفنون أعمارهم في سبيله وتفكره، ونسأل الله -تعالى- أن نكون منهم أو ننشبه بهم، "فإن التشبه بالكرام فلاح".

نسأل الله العظيم أن يتقبل جهدنا -المقل- ويسامحنا على تقصيرنا في جنبه ويكتب لنا الأجر ويضاعفه لنا إنه هو السميع العليم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

نتائج البحث

وتتمثل في النقاط الآتية:

- ١- توصل البحث إلى أهمية الإعجاز البياني البالغة عن غيره من ألوان الإعجاز الأخرى للعربي والعجمي على السواء.
- ٢- تبين بعد البحث والتقصي أن الأعجمي قد يفهم الإعجاز البياني ومراد الله من كتابه وذلك بعدما يفسر له عن طريق لغته التي يتحدث بها ولا تعارض في ذلك، لأن اللغة قبل أن تكون قوالب فهي معاني نستشعرها، ثم يفهمها غير الناطق بها.
- ٣- تبين أن قصة السيدة مريم في ثنايا القرآن تحمل صوراً شتى من صور الإعجاز البياني قد تم شرحها في محلها.
- ٤- تبين أن العربي في القرون الأولى من التنزيل الحكيم كانت لديه سليقة واضحة في تدقيق آيات القرآن، وحينما بعدت القرون تاهت اللغة في بطون الكتب ولم يعد لها وجوداً في عقول الرجال إلا من رحم ربي.
- ٥- تبين أن معنى "وليس الذكر كالأنثى" ليس المعنى المتبادر للأذهان من عدم مساواة الذكر بالأنثى، وأن الأفضلية للذكر؛ بل هناك معاني خلاف ذلك المفهوم، حيث أن امرأة عمران تمننت أن يكون ذكراً يقوم في خدمة سدنة بيت المقدس ولا تكون هذه الوظيفة والسدانة إلا للذكر، وليس الذكر الذي تمننته كالأنثى التي وضعتها حيث لا مفاضلة في ذلك على الإطلاق.
- ٦- تبين أن القرآن الكريم ليس كتاب قصص من الخيال، بل هي حقائق للموعظة والذكرى، وليست القصة فيه إلا لغاية تخدم هذه الموعظة وتلك الذكرى.

التوصيات

- ١- توصي الباحثة المهتمين بالعلم الشرعي أن يهتموا بالقرآن الكريم وأوجه إعجازه خاصة البياني منه؛ لأنه علم واسع مهم، وله دور كبير في الدعوة إلى الله.
- ٢- توصي بعقد المؤتمرات واللقاءات الخاصة بالإعجاز البياني وعرض كل ما هو جديد ونشره من خلال النشرات الدورية.
- ٣- توصي بنشر مؤلفات أ. د. فاضل السامرائي -حفظه الله- فهو من الأوائل في العالم الإسلامي الذين تصدروا الحديث عن الإعجاز البياني في القرآن الكريم وسوره وآياته وكلماته. وله العديد من البرامج الإذاعية في هذا الصدد.
- ٤- توصي القائمين على مؤسسات التعليم العالي بإنشاء تخصصات جديدة، تتطلب الخوض في الإعجاز البياني على وجه الخصوص، وأنواع الإعجاز الأخرى على وجه العموم.
- ٥- توصي طلاب العلم بتقوى الله وإخلاص النوايا لله وحده عند طلب أي علم شرعي، ولا يكتفى بالتحصيل طلباً للرزق.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً: المراجع العربية:

- ١- إعجاز القرآن الكريم: فضل حسن عباس، سناء فضل عباس.
- ٢- الإعجاز القصصي في القرآن: أ. د. سعيد عطية علي مطاوع، دار الآفاق العربية للنشر، ط. الأولى، ٢٠٠٦م.
- ٣- تفسير الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي.
- ٤- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.
- ٥- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة ط. الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألويسي.
- ٧- سورة مريم دراسة لغوية: رسالة ماجستير، سيد ابراهيم سيد ناصر، إشراف د. يوسف عبد الرحمن الضبع، سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني.
- ٩- الكشف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله.
- ١٠- مختصر تفسير البغوي: عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٦هـ.
- ١١- المستوى البلاغي في سورة مريم: د. فيصل حسين طحيمر غوادرة.

ثانياً: المصادر الالكترونية:

- ١- تفسير الشعراوي المصدر الالكتروني.
- ٢- www.islamporti.com.
- ٣- www.magalaty.com
- ٤- Islamport.com
- ٥- Islamiyyat.abber.com
- ٦- www.ijazforum.org
- ٧- www.amrallah.com
- ٨- www.islamwomen.org
- ٩- www.dar-net
- ١٠- www.aahlalhdeth.com